

اللغة العربية في الهند

بين الماضي والحاضر والمستقبل

الدكتور؛ معين الدين الاعظمي

يبدو أنه لم يكن هناك نظام مؤثر ومنظم على مستوى قوى لتدريس وترويج هذه اللغة في الهند بل كان المهتمون بها يتوجهون الى منازل وبيوت المتخصصين والعلما في هذه اللغة ، ومن الاسف الشديد والبالغ أن هذه اللغة لم تنل رعاية وعناية واهتماما لائقا وواجبا من حيث عدد المسلمين ومن حيث قوتهم ونفوذهم وسيطرتهم بمثل ما نالت اللغة الفارسية أيام حكم المسلمين في الهند فانها نالت اهتماما اكثر واشد ، ومن هنا كانت تدرس وتعلم اللغة الفارسية بين المسلمين وغير المسلمين على السواء .

ومع ذلك كان المسلمون الذين تخصصوا ونبغوا وتبحروا في هذه اللغة العربية الفوا مؤلفات هامة في العلوم الدينية مثل التفسير والحديث والفقه وفروعها .

2 - بعد مجيء الانجليز :

في العهد الانجليزي كان هناك مركزان لتدريس وتعلم اللغة العربية في الهند .
المركز الاول : كانت المدارس الدينية العربية ، وقد قامت هذه المدارس الاسلامية بدور فعال ومؤثر في ترويج ونشر وتعميم اللغة العربية .

المركز الثاني : كانت الجامعات الحكومية التي فتحت فيها اقسام اللغة العربية ، هذا المركز الثاني ايضا لعب دورا في مجال تعليم اللغة العربية حيث انه دعم وساند حركة ترويج هذه اللغة والبحث والتحقيق فيها .

وقد كانت هناك ميزات مختلفة شديدة الاختلاف للمخرجين من هذين المركزين ، فالذين كانت لهم

مرت اللغة العربية في الهند بثلاث فترات ومراحل واضحة ، وتميزت في كل منها ببعض المحاسن والمساوي والفضائل والنقائص وهي :

1 - فترة بعد قدوم المسلمين .

2 - فترة بعد مجيء الانجليز .

3 - فترة بعد حصول البلاد على الاستقلال .

ان هذا الاستعراض او هذه الدراسة الوجيزة لوضع اللغة العربية في هذه الاحقاب الطويلة التي تمتد الى حوالي اثني عشر قرنا لا يخلو من فائدة ، لانه يقدم لنا مدى نجاحنا وفشلنا في هذا المجال ، وماذا يجب أن نقوم به من الاعمال ونتخذ من الخطوات والاجراءات لتنميتها وترويجها .

1 - بعد قدوم المسلمين :

ان اللغة العربية ، من أقدم اللغات الاجنبية الشرقية منها والغربية التي اتت الى البلاد ونمت وازدهرت وانتشرت فيها - ولكنها نالت قبولا ورواجا واهتماما بصورة خاصة منذ قدوم المسلمين الى الهند في الربع الاول من القرن الثامن الميلادي ، كانت هذه اللغة في وضع وموقف أحسن من اللغات الاجنبية الاخرى ، ذلك انها تلقت تأييدا قويا وحماسيا وتطوعيا من جانب المسلمين الذين يشكلون اكبر جالية وأضخم عدد في الهند ، وقد تزايد هذا الاهتمام حسب مرور الأيام والقرون ، مع ازدياد عدد المسلمين وانتشار التعليم فيهم ، وقد اهتم المسلمون بهذه اللغة في الماضي لكونها لغة دينهم ، ولم يكن الهدف الوظيفة والكسب المادي من هذه اللغة آنذاك بل بالعكس كان يمد ذلك عيبا .

صلاحت بالمدارس الدينية العربية كانوا يقرأونها ويكتبونها بصحة ، وخاصة من الناحية النحوية والعرفية ويفهمونها بعق وبراعة ولكنهم كانوا لا يحسنون المحادثة بتعبير صائب وأسلوب سليم وقويم ، ومن هنا يمكن القول ان معرفتهم لهذه اللغة بوجه عام ، كانت معرفة غيرنا فان المعرفة التامة هي ان يجيد اللغة قراءة وكتابة ومحادثة .

وقد كان لهذا النقص اسباب اهمها عدم الحاجة الشديدة الى المحادثة وعدم وجود الروابط الثقافية الوثيقة بين الهند والبلدان العربية ، فكان أسلوبهم يتسم بالركاكة والضعف ، ولاعجب فان اللغة العربية في تلك الفترة كانت سقيمة في الدول العربية ايضا .

والضعف الآخر هو ان معظم هؤلاء المتخرجين من المركز الاول اى المدارس العربية الدينية ، كانوا لا يجيدون اللغة الانجليزية بل كانوا يجيدون اللغة الفارسية والأردية - وكانت معرفة هذه اللغات لسد حاجة المسلمين الدينية في ذلك - .

أما المتخرجون من المركز الثاني اى الجامعات الحكومية فكانوا ، يتقنون اللغة الانجليزية فهم وقراءة وكتابة ومحادثة ، ولكن اللغة العربية التي كانت هي المادة الدراسية الاساسية لهم فكانوا فيها ضعفاء الى حد مؤسف والى ادى مستوى في القراءة والنهيم والتحدث والكتابة ، فكانوا يفضلون التحدث باللغة الانجليزية على التحدث باللغة العربية ، وان المتخرجين من هذه الجامعات بدلا من الحصول على شهادة الماجستير والدكتوراه من الدول العربية كانوا يحصلون عليها من بريطانيا وألمانيا ويكتبون رسائلهم وابحاثهم في اللغة الانجليزية بدلا من اللغة العربية .

مع انه من الواجب ان الشخص الذى تخصص في اللغة العربية أو أية مادة أخرى ان يكون تويا فيها ، واذا حدث أو تحتم عليه ان يكون ضميما فيجب ان يكون في لغة ومادة ثانوية .

وتلك الميزة لا تزال توجد في المتخرجين من هذين المركزين وهذه الحالة المحزنة والظاهرة الغريبة بل الداء العضال الطويل يجب اصلاحها وعلاجها ، فان الاستمرار فيها يؤدي الى قلة الانتاج العلمى الاصيل في اللغة العربية .

ولكن مع هذا النقص في تعلم اللغة العربية نرى انه قد استمرت حركة التصنيف والتأليف في هذه اللغة وخاصة من جانب المركز الاول مثلما كان في المعهد الإسلامى بل وأكثر منه حول العلوم الدينية ، فتوجد هناك مؤلفات أصيلة قيمة وأثرة في هذه اللغة ، ومساهمة العلماء في هذين المهدين في هذا المجال من أروع وأجل وأعلى المساهمات من جانب دولة اسلامية غير عربية ، وانها حقا مفخرة الهند الآن ، وبها كان لنا ما من مشرق سنى ومشع في هذه اللغة . وفي هذه الفترة أيضا نرى ان اهميتها لم تتعد من الناحية الدينية بصورة خاصة وكانت تعتبر لفة يدرسها المسلمون والذى بدأوا يدرسونها في الجامعات فكانوا يطمحون في الحصول على وظائف حكومية ، ولو انها كانت قليلة ونادرة جدا في هذين المهدين .

3 - فترة بعد حصول البلاد على الاستقلال :

والواقع بعد حصول على الاستقلال ان اللغة العربية قطعت شوطا بعيدا وأحرزت تقدما كبيرا ولموسا بعد حصول الهند على الاستقلال، وانها تشكل عنصرا هاما لتاريخ الصداقة الهندية ، العربية العريق . وانها وان لم تتمد اهميتها من الناحية الدينية في الماضى الا ان اهميتها بدأت تزداد وتتوسع وتتنوع منذ حصول البلاد على الاستقلال أو قبل وقت قليل من انشاء الجامعات والمراكز المالية ، وانتقل الامر الآن واحتلت اللغة العربية مكانة اللغة الفارسية بل انها تمتاز بين اللغات الاجنبية الاخرى ايضا باعتبار انها تعطى الفوائد المادية الجمة ويدرسها الآن عدد غير قليل من غير المسلمين .

ان الحكومة تزيد باستمرار من أماكن المدرسين لهذه اللغة في الجامعات والمعاهد كما تزيد المنح الجديدة لدارسى هذه اللغة في الادارات الحكومية ، وانه بسبب هذه الجهود والحوافز والتشجيع والخطوات الرائعة الفريدة للحكومة نرى اهتماما أكبر بهذه اللغة ، وتوجد الآن في البلاد جماعة تقدر على الكتابة باللغة العربية بأسلوب سليم ورائع فيه سلاسة وعضوية وقوة ، وجماعة تقدر على المحادثة بطلاقة وتقدر على الترجمة من اللغة الانجليزية الى العربية وبالعكس .

كما نرى في هذه الفترة انه استجابة لروح العصر واحساسا بالمسؤولية واحتفاظا بالتقليد الهندى

1 - اعداد اشخاص يتقنون اللغة العربية
والانجليزية .

2 - اعداد اشخاص يتقنون اللغة العربية
والهندية والسنسكريتية

3 - اعداد اشخاص للتأليف حول الآداب العربية
مع المقارنة بالآداب الهندية والأردية .

4 - اعداد اشخاص مؤهلين للتأليف حول العلوم
الإسلامية .

فاخراج مثل هذا الانتاج العلمى الاصيل المبني
على التحليل الموضوعى الامين المخلص ، حاجة عالما
البعاصر ، وحاجة المستقبل ، ونرى أن الجامعات تدرب
وتحرض المتعلمين على القيام بالابحاث والدراسات
بادخالهم في قسم الدكتوراه .

لما المدارس العربية التى قامت بدور هام وفعال
ومؤثر في ترويج اللغة العربية فانها تقوم بمهمة التدريس
عامة ولا تقوم بالدراسة والبحث ، اللهم الا بمض
الجامعات الاسلامية التى قامت بتعليم اللغة العربية
كلفة حية لها قيمتها وأهميتها الدينية واللغوية ، والأدبية
وقد أدت دورا مهما جدا في تنمية اللغة العربية وترقيتها
وتوسيع نطاقها في جميع المجالات الكتابية والخطابية
والصحافية والعلمية كجامعة ندوة العلماء في كهنؤ الهند
وتحقيقا لهذا الهدف نرى :

1 - تنظيم المدارس باتامة هيئة لهذه المدارس
الدينية تكون جميع المدارس تابعة لها في التنظيم والإدارة .

2 - تفسير المناهج لهذه المدارس بحيث يستطيع
الطلبة الحصول على معرفة أوسع وأعمق في أتمر
مدة .

3 - فتح الفصول العالمية مثل إتمام التخصمات
في مختلف العلوم الأدبية والاسلوبية .

وليست أهمية اللغة العربية في الهند من ناحية
المؤلفات فحسب لتكون مفخرة لنا وتساعدنا في
الاستمرار بالتبادل الثقافى بل أن لها أهمية من الناحية
السياسية والتجارية والتوظيف ويجدر بنا أن نقوم
باستعراض سريع خاطف لهذه النواحي سنتضح
وضوحا كاملا .

الناحية السياسية :

ان اللغة العربية لغة اثنتين وعشرين دولة عربية

الإسلامى أصدرت بعض المعاهد الدينية والهيئات
الحكومية بعض المجلات والصحف وذلك لتشجيع الكتاب
على الكتابة باللغة العربية وأخبار العالم العربى بسا
يحدث في الهند من نشاط عربى وإسلامى وحض ما يثيره
المفكرون ، ومن أقدمها وأهمها .

« 1 » « البعث الإسلامى » مجلة شهرية تصدر منذ
الخمسينات الى الآن .

« 2 » « الرائد » وهى جريدة نصف شهرية
وكلتاها تصدران من ندوة العلماء .

« 3 » « الكفاح » وهى صحيفة نصف شهرية
تصدر من جمعية علماء الهند في دلهى .

« 4 » « ثقافة الهند » وهى مجلة حكومية تصدر
من المجلس الهندى للعلاقات الثقافية لوزارة الخارجية .

« 5 » « الداعى » وهى تصدر من دار العلوم
ديوبند الهند منذ فترة قليلة .

وهناك بعض المجلات والصحف الأخرى التى
تصدر في الهند ولكننا لسنا بمدد استيعاب وحصر
هذه المجلات ، وان كل هدفنا هنا أن نذكر لبعض
الانشطة والمجهودات التى تبذل في الهند في العصر
الحاضر لتعميم وترويج اللغة العربية .

ولكن الشيء الذى نلمسه الآن هو عدم وجود
الانتاج العلمى الاصيل ذى المستوى الرفيع حول العلوم
الإسلامية والعربية ، وهذا جانب يستدعى اهتمام
الحكومة واهتمام الهيئات الإسلامية ، لاكتساب علاج
لهذا النقص والعقم ، ان مثل هذا الانتاج الاصيل لازم
للاحتفاظ بتراثنا الإسلامى ولأحياء التبادل الثقافى مع
الدول العربية ، ولأجل أن لا تلومنا الأجيال القادمة
بالتقصير والمعجز في هذا الميدان .

غير أنه يجب التقدير والاعجاب بالمجهودات التى
تبذل من جانب بعض الأفراد والهيئات والجامعات
لتحقيق المخطوطات العربية وتقديم أعمال العلماء
الهنود بتحقيق وتحليل ونقد ومقارنة .

فاذا أردنا توطية وتنمية هذه العلاقات والروابط
على قواعد سليمة وراسخة وإذا أردنا مواجهة هذه
المصالح الجديدة وإذا أردنا أن نفتخر الهند بمساهمتنا
في هذه اللغة والعلوم الإسلامية كما نفتخر بمساهمتنا
في الماضى يجب :

التوظيف في الهند والدول العربية :

في الماضي لم تكن هناك وظائف حكومية لدارسي اللغة العربية الا قليلا جدا ومع ذلك كان المسلمون يتعلمونها ويؤلفون فيها الكتب ، ومنذ ان بدأ تأسيس الجامعات عامة ومنذ ان حصلت الهند على الاستقلال خاصة ومنذ ان بدأ الازدياد في الروابط السياسية والتجارية والتبادل الثقافي على الاخص ، نرى ان هناك وظائف حكومية كثيرة ورائجة وانها في ازدياد مستمر حسب تزايد المتطلبات ، مثلا هناك وظائف واستهلاك داخلي لهذه اللغة في وزارات للخارجية والاعلام الداخلية والسفحاف والجامعات والمراكز العلمية والسفارات العربية ، ومتصلياتها في العواصم الاقليمية الهندية والشركات الهندية التي تتجر مع العرب ، كما ان هناك حاجة الطيران الهندي للموظفين في شركته وبعد التوسع في التلفزيون سوف تكون هناك حاجة هذه المؤسسة الى المتقنين لهذه اللغة ويكفيهم ان يحصلوا على الوظائف في البلدان العربية وهكذا فانها تحل اكبر مشكلة للانسان ، الا وهي المشكلة الاقتصادية .

المستقبل :

لا شك ان الصداقة والتعاون النامي بين الهند والعالم العربي سيزداد وتتوثق في الأيام والقرون القادمة ويساعد في هذا التعاون العلاقات التجارية المتزايدة والرحلات المريحة السريعة .

ويجب ان نطلع الى آفاق اوسع لخير الشعبين في البلدين في المستقبل ، وكلما يزداد هذا التعاون مع هذه الدول تزداد اهمية اللغة العربية في الهند واهمية اللغة الهندية في الدول العربية .

ومن هناك تكون هناك فرص كثيرة للتوظيف وتعاون اكثر وأكثر توثقا من ذي قبل ، وسيكون تعلم اللغة العربية من المصالح القومية بجانب المصالح الدينية الفردية للمسلمين .

وبهذا الاستعراض السريع لدور واهمية اللغة العربية في الهند يظهر جليا ان هذه اللغة تمثل وتتبع بكفاءة فريدة وخاصة بين اللغات الاجنبية في الهند ولها مستقبل مشرق ومبشر بالنجاح .

ومعظم هذه الدول العربية من الدول النامية الغنية بالبتترول ومن كتلة عدم الانحياز فضلا عن ذلك فانها أصبحت احدى لغات الامم المتحدة وأصبحت لها مكانتها الدولية .

ان هذه الدول العربية الكثيرة ولو انها صغيرة في عدد سكانها الا ان لها تمثيلا دبلوماسيا اكبر مع الهند ، وان اقامة العلاقات الطيبة والوثيقة مع هذه الدول تتطلب ان يجيد الموظفون الهنود في سفارات الهند في هذه الدول ، اللغة العربية ليظلوا بصحة وبطريق مباشر على ما يحدث هناك ويتبادلوا الآراء مع جماهير الناس في لغتهم ، فان التحدث في لغة المخاطب يزيد الود والصداقة ، وهذه العلاقة السياسية تمهد الطريق للتنمية والروابط والتعاون والتزامل في مجالات وحقول وميادين أخرى .

الناحية التجارية :

ان العلاقة التجارية من اهم العلاقات بين الدول في هذا الزمن وربما تفسر الدول موقفها السياسي للحفاظ على تجارتها مع دولة لها علاقة تجارية وثيقة بها .

والدول العربية اكبر سوق تجاري للهند وان منتجاتها بجميع انواعها واصنافها الالكترونية والكهربائية والهندسية والصناعية والزراعية تصدر الى هذه الدول ، وكذلك فان الشركات الهندية بمختلف انواعها تحصل على التعاقدات في الدول العربية لتنفيذ المشاريع هناك وتحتاج هذه الى اشخاص يقومون بأعمال المراسلة ويساعدون في فهم رغباتها ومتطلباتها ومواصفاتها ، كما ان تصدير هذه البضائع تحتاج الى طبع الميزات لهذه البضائع وفكر وزنها وكقيمتها وسعرها ونوعيتها باللغة العربية يسهل معرفة ميزتها لهم .

ان هذه الدول تنقصها القوة البشرية وهناك فرص سائحة للهنود للعمل في هذه البلدان ، وتساعدهم معرفة اللغة العربية في تادية وظائفهم مع اهالي تلك البلاد من ناحية ، واتمام ما يربهم الشخصية من ناحية أخرى ، وان تطوير وتدعيم ومضاعفة هذه التجارة والتعاقدات والحصول على الوظائف هناك تتطلب الاهتمام المزيد باللغة العربية في الهند .

ملحوظة : منقولة حرنيا ويسدون تصرف عن صحيفة الرائد - الهند - 1 - 6 يوليو 1980